والأخذ بعنف قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف
تعلم فعل الجبابرين اي كان ظلما وعلوا بلا رأفة ولا داعية حكمة والجبار الذي يضرب
ويقتل على الغضب قوله وتغيير شق النفي يعني ان المقابلة تقتضي ان يقال ام لم
تعظ وهو اخصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين الا انه ترك مقتضى المقابلة
وعدل الى الاطول للمبالغة المذكورة فان التسوية بين وعظه اياهم وعدم كونه من اهل الوعظ
والنهي ومباشرته اصلا بمنزلة ان يقال سواء علينا اوعظت ام كنت حجرا اصلدا ولا شك
انه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال اوعظت ام لم تعظ ولقائل
ان يقول انما يكون هذا ابلغ ان لو لم يكن قولنا هو من الواعظين ابلغ من قولنا
هو واعظ لكنه ابلغ منه ولهذا قالوا ان قول الزمخشري في خطبة المفصل احمد الله على
ان جعلني من علماء العربية ابلغ من ان يقال جعلني عالما بالعربية ويمكن ان يجاب عنه
بان المقابلة بين قوله وعظت وقوله لم تكن من الواعظين يأبى الحمل على الكمال وتوجب
ان يكون المعنى ام لم تكن من اهله ومباشريه اصلا قوله وقرأ الى آخره وقراءة الباقين
وهم ابن كثير وابو عمرو والكسائي خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام وهو اما من الاختلاق
والكذب كما يقال خلق الافك واختلقه اي افتراه ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا
او بمعنى الخلقة والتكوين فعلى الاول يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود عليه السلام
وعلى الثاني يكون اشارة الى خلق القائلين والخلق بضمتين وبواحد العادة فعلى هذه
القراءة يجوز ان يكون اشارة الى ما جاء به هود عليه السلام وان يكون اشارة الى ما هم عليه من الدين
او من الحيوة او الموت قوله انكار لان يتركوا كذلك والمعنى اتظنون انكم تتركون في الذي
استقر في هذا المكان من التنعيم وان لا ذل للمجازاة والهمزة للانكار والتوبيخ وعلى الثاني
يكون الهمزة تقريرا لما انعم الله تعالى اياهم في اسباب نعمهم امنين لطول الامتنان عليهم وعن
النعمة قوله ثم فسره يعني ان قوله فيما هاهنا مجمل بقوله في جنات ونعيم وزروع ونخل كما ان
قوله امدكم بما تعلمون مجمل فصله بقوله امدكم بانعام وبنين وجنات قوله لطيف لين
فيكون الهضيم من الهضم بفتحتين وهو الرقة واللطافة قال الجوهري الهضم بالتحريك انضمام
وهو في الفرس عيب يقال لا يسبق هضم من غاية بعيدة ابدا ويكون طلع النخل هضيما
قد يكون للطف التمر وقد يكون للطف النخل وقد يكون لكون النخل انثى فان طلع البرني الطف
من طلع اللون والبرني اجود التمر واللون الدقل وهو ارداء التمر واهل المدينة يسمون ما عدا
البرني والعجوة الوانا وكذا طلع ذكور النخل لا يكون هضيما بل يكون غليظا صلبا ثم قشر الطلع

٦٠٩

الطلع بقوله وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والشماريخ جمع شمراخ
ويقال له شمروخ ايضا كالعثكال والعثكول النهاية والعثكال العذق وكل غصن من
اغصانه شمراخ وهو الذي عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من التمر بمنزلة العنقود
من الكرم والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر الذي فيه شماريخ العذق
وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون زائدتان تقطع
من الشماريخ فيعوج ويبقى على النخل يابسا شبهه الله تعالى به القمر في ليلة ثمان وعشرين
حيث قال عاد كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما دقيق منقوس قوله
او متدل منكسر عطف على قوله لطيف لين فيكون هضيم من الهضم بمعنى الكسر يقال هضم
حقه اذا ظلمه وكسر عليه حقه والتدلي التسفل من موضعه يقال تدلى الشجر
قوله وافراد النخل بالذكر مع اسم الجنة تتناول النخل وغيرها مما يقصد انباته
في البساتين للتنبيه على فضل النخل على سائر ما في الجنان حتى كانه ليس من جنس ما دل
عليه اسم الجنة بتنزيل التغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات اولان المراد بالجنات ما عدا
النخل لان اسم الجنس يصح ان يطلق على ما يشتمل على جميع اشجار البساتين وعلى ما يشتمل على بعضها
فيجوز ان يراد به هاهنا ما يشتمل على بعضها ويكون عطف النخل عليه دليلا على ارادة البعض
قوله بطرين او حاذقين قال ابو عبيدة فرهين او فارهين يقال هما بمعنى مرجوهين
بطرين اشرين وفرق الجوهري بينهما وقال الفاره الحاذق بالشيء من فره بالضم يفره
فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر بمعنى اشر وبطر وقرئ بيوتا فرهين حكاه
من فره بالضم قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآيات يدل على ان الغالب على قوم
هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتجبر والغالب على قوم صالح
هو اللذات الحسية وهي طلب الماكول والمشروب والمساكن الطيبة انتهى كلامه وقال صالح
عليه السلام لقومه على سبيل الانكار والتوبيخ اتتركون وتنحتون ثم قال فاتقوا الله بترك
هذه الاشياء واطيعون وحمل الزمخشري قوله على سبيل تذكير النعمة واستدعاء شكرها قوله
استعير الطاعة اي ارتكب المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة ان يكون للآمر
الامتثال كما ان يكون للامر يقال اطيعوا الله وامتثلوا امره فلما قيل في هذه الآية ولا تطيعوا امر المسرفين
تعين المصير الى المجاز وذلك اما ان يشبه الامتثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يفضي
الى وجود المأمور به فاطلق اسم المشبه به وهو الطاعة واريد الامتثال ثم اشتق منه قوله
ولا تطيعوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالمعنى ولا تمتثلوا امرهم واما ان تحمل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)